مجلة الشهاب • المجلد: 08، العدد: 01 (2022م) • ص ص 681 - 698
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)

نظرة في تاريخ شعب البلغار المسلم

A look at the history of the Muslim Bulgar people

د/ محمود نور الدين شعبان *
جامعة ابن خلدون – إسطنبول (تركيا)
Shagban2@gmail.com

ذ/ غلنارة قاسم بايما شيفا
جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية – إسطنبول (تركيا)
imankirish@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/01/30 تاريخ القبول: 2022/02/13 تاريخ النشر: 2022/03/15

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: لقد مر على منطقة أوراسيا كثير من الحضارات التي تركت أثرًا فيها، ومن أبرزها الحضارة التي أسسها البلغار الذين دخلوا الإسلام منذ القرن الرابع الهجري تقريبًا، وكانوا من أول الشعوب الإسلامية التي ساعدت في نشر حضارة ذلك الدين من جنوب أوراسيا حتى شمالها، وهذه المقالة تتحدث عن أصول هذا الشعب، والفرق بينهم وبين الناس الذين يعيشون في دولة بلغاريا، وتاريخ هذا الشعب المسلم واعتناقه الإسلام، حتى انهيار دولة البلغار، والقوميات التي ترجع أصولها إلى البلغار في يومنا الحاضر.

الكلمات المفتاحية: بلغار؛ تتار؛ مغول؛ تتارستان؛ بلغارستان.

Abstract : Of the many civilizations that have passed through and left their mark on Eurasia, the Bulgars are one of the most prominent. The Bulgars embraced Islam approximately in the 4th century A.H. and were one of the first peoples to aid in spreading the civilization of Islam from the south all the way to the north of Eurasia. This article discusses their origins, the differences between them and the people currently living in modern day Bulgaria, their introduction to Islam and their history within it up until the collapse of the Bulgar state as well as the modern day ethnic groups that trace their origins back to the Bulgars .

Keywords: Bulgar; Tatar; Mughal; Tatarstan; Bulgarstan.

1. مقدمة

انتشر الإسلام في ربوع الأرض انتشارًا سريعًا في عصر الفتوحات الإسلامية، لأن فكرة تحرير الشعوب من عبودية الملوك إلى عبودية رب الملوك كانت أسرع وصولاً إلى الشعوب الشرقية من الجيوش الإسلامية، وقد طلب بعض ملوك الترك في آسيا من الخلفاء أن يرسلوا لهم من يعلمهم شرع الله حتى يدخلوا في دين الله أفواجًا، وكان دخول الإسلام آسيا وسطها وشرقها وأدناها وأقصاها فتحًا عظيمًا في تاريخ الحضارة الإنسانية، فنَمت الحضارة هناك، وتحولت مدن تلك البلاد إلى منابع علم، ما زال أثرها مستمر إلى يومنا، وقد كانت شعوب الترك محور هذه الحضارة في تلك المنطقة، ونشأ منهم علماء وقادة

* المؤلف المراسل.

تركوا بصماتهم في التاريخ، ومن هذه الشعوب البلغار التي كانت لهم دول إسلامية وحضارات سبقت الشعوب الروسية السلافية بتقدمها وتمدنها، ففي هذه المقالة أسلط الضوء على هذه الشعب وما قدمه من خدمة للإسلام وحضارته، فأعرف بأصولهم واختلافهم عن غيرهم من القبائل، ثم أتكلم عن ممالكهم وتاريخ دخولهم الإسلام، وأذكر بعضًا من أشهر علمائهم الذي برزوا في العلوم الإسلامية.

2. الترك والتتار والبلغار:

1.2. أصل قبائل الترك:

يقال أن أصل كثير من قبائل الترك: كالتتار والمغول والقبجق والخزر وبجناك وغيرهم يعود إلى ترك بن يافث بن نوح، ثم اعتبر كل واحد منهم أباً لقبيلته وصار أبناؤه قوماً مستقلين، ولكن اشتهرت قبائل التتار من بين تلك القبائل حتى استعمل لفظ التتار مرادفاً للفظ الترك خصوصاً في أوروبا، فقد كانوا يطلقون كلمة "التتار" على كافة قبائل الترك.[1]

فلفظ "تتار" يشابه لفظ "ترك" من ناحية عمومه في المعنى ودلالاته على أقوام كثر وليس أقواما معينين، فمنهم: تتار الفولغا وتتار قزان وتتار القرم وغيرهم، فهي قبائل من أصول تركية عاشت في مناطق آسيا وحوض الفولغا حتى جزيرة القرم بل وحتى أوربا الشرقية، وأغلبهم شعوب مسلمة اعتنقوا الإسلام منذ عصور الفتوحات الأولى، والبلغار جزء من تلك القبائل فمن ذكر هم باسم (تتار البلغار) فهو من هذا الباب.

وأما لفظ بُلغار أو بُلغَر أو بُرغَر، في المراجع العربية والإسلامية، فيدل على اسم منطقة واسم قبيلة كذلك، وهذه القبيلة عاشت في حوض نهر الفولغا أو ايتل، لذلك نرى ياقوت الحموي (622هـ- 1225م) يعرفهم في كتابه (معجم البلدان) بقوله: "بُلغار بالضم والغين المعجمة مدينة الصقالبة ضاربة في الشمال شديدة البرد، لا يكاد يقلع الثلج عن أرضهم صيفاً ولا شتاءً، وقلما يرى أهلها أرضاً ناشفةً"[2]. ويذكره مرة أخرى في مادة (برغر): "بالغين المعجمة المفتوحة والراء، قال علي بن الحسين المسعودي: مدينة البرغر على ساحل بحر مانطس[3]، وهو بحر متصل بخليج القسطنطينية، وأرى أنه في الإقليم السابع، وهم نوع من الترك والقوافل متصلة منهم إلى بلاد خوارزم وأرض خراسان ومن بلاد خوارزم إليهم إلا أن ذلك بين بوادي غيرهم من الترك".[4]

وهناك أيضا اختلافات كثيرة حول تسميتها مثل برغار وبرغر وبلكان. يقول ياقوت الحموي: واللفظ الأول أي "بُلغار" هو الأصح والأشهر والأكثر وروداً في الكتب. وهي التي وردت في رحلة ابن فضلان بهذا اللفظ[5].

وهؤلاء الأقوام كانوا بدوًا رحلًا سكنوا ما بين جبال أورال وفولغا وأقاموا في سواحل نهري دون ودنيبر، إلا أنهم تركوا البدواة منذ عهود قديمة واستقروا وبنوا حضارة.[6] وقد دل على ذلك قول المؤرخ الروسي سولوف عن البلغار:

"لقد بنت آسيا الإسلامية هنا بيتاً، هذا البيت لم يكن للقبائل البدوية، وإنّما كان لبناء الحضارة، وذلك من زمن طويل، هنا أسس البلغار دولتهم، وهنا عندما كان البلغار يستمعون إلى القرآن على شواطئ نهري فولغا وقاما، لم يكن الروس اسلاوون قد بدؤوا بعد بناء كنائس مسيحية على نهر أوقا، ولم يفتحوا بعد هذه الأماكن باسم الحضارة الأوروبية".[7]

فالبلغار المسلمون سبقوا السلاف بالدخول في دين سماوي وهو الإسلام، وسبقوهم في بناء الحضارة في تلك المنطقة أيضًا.

2.2. **أصول البلغار**:

إلى الآن لا يوجد أدلة قطعية عن أصول البلغار، ولكن ورد في بعض المراجع البيزنطية والمراجع الروسية أن دولة البلغار أسست على يد كُبرَات (قوارات) خان في سنة 632 م في الأرض الممتدة من جزيرة القرم إلى بحر قزوين، ومن مدينة صمارا شمالاً إلى جنوب أوسيتيا جنوب القفقاز، وطبقاً لزعمهم فقد هرب كبرات خان، وهو من قبيلة دولو، من سلطة الهون المتداعية، وأعلن نفسه حاكماً مستقلاً على الأراضي التي سيطر عليها، ودخلت كل القبائل البلغارية التي تعيش في مناطق البحر الأسود وبحر أزوف وبحر قزوين تحت سلطته مباشرة.

ولم يكن هذا الاتحاد شبه الرسمي تحالفاً عسكرياً قبليًا كما كانت التحالفات في ذلك العصر ، بل كان حكومةً حقيقيةً، لأن كبرات خان كان شخصًا متعلماً ومثقفاً في بيزنطة، فقد نشأ في البلاط القيصري في القسطنطينية وعُمِّد في الكنسية هناك، وكان صديقًا شخصيًا للإمبراطور البيزنطي هرقل، واحتفظ بعلاقات ودية وسلمية مع الإمبراطورية البيزنطية حتى نهاية حكمه.

ولكن بعد موته سنة 665م اختلف أولاده على الحكم، فقاد اسباروخ جزءا من الجيش ونزل في منطقة أوربا الشرقية اليوم، وأما ابنه كوتراج فقاد جيشه إلى أراضي الشمال واحتل الأراضي التي حول ملتقى نهري فولغا وقاما، وأصبحت عاصمة الدولة الجديدة مدينة بلغار قرب مدينة قزان اليوم.[8]

الصورة من موقع: https://blazingbulgaria.wordpress.com/2012/06/26/origins_of_bulgaria/

ولا يوجد في المراجع العربية عن هذه الفترة وعن البلغار أي معلومات، ولكن المعلومات عنهم تبدأ من رحلة ابن فضلان التي طلب فيها خان البلغار (ألمش بن يلطوار) دعم الخلافة العباسية ضد اليهود الخرز الذي كانوا يغيرون على أرضه دائمًا، وذلك عام (332هـ- 922م) واعتنق الخان ألمش الإسلام واعتبره ديناً رسمياً للدولة.[9]

وعن أصول البلغار، ذكر ابن الأثير من أحداث سنة 433هـ أنه وصل جماعة من البلغار إلى بغداد يريدون الحج، فأقيم لهم من الديوان الإقامات الوافرة، فسئل بعضهم: من أي الأمم هم البلغار؟ فقال: هم قوم تولدوا بين الترك والصقالبة، وبلدهم في أقصى الترك، وكانوا كفارا فأسلموا عن قريب، وهم على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه[10].

وقال المؤرخ خاليكوف: أن أصل السكّان في بلاد البلغار ينتمي إلى خمسة أصناف وهي: بلغار أو بلكار وسُوار واسغل وبرصولا وبرنزار، وكان يعيشون كلّهم في مكان واحد.[11]

والآن يوجد عدة جمهوريات صغيرة ضمن الاتحاد الفيدرالي الروسي تعتبر سكانها أحفادًا لبلغار الفولغا، وأهمها جمهوريات قبردينا بلغار وجوفاشيا وتتارستان التي كانت تُسمى بُلغارستان حتى عام 1922م. وهناك فرق بين الجوفاش والتتار، فالجوفاش لم يعتنقوا الإسلام كباقي البلغار.

3.2. الفرق بين بلغار إتيل (الفولغا) و بلغار الطونة (بلغاريا):

بعد موت قورات خان أو كبرات خان سنة 665م انتقل أولاده كما ذكرنا إلى عدة جهات، ومنهم اسباروخ الذي نزل بين نهري الطونة ودينستر، ثم غزوا السلافيين سنة 679م وأسس حكومة بلغارية قوية في منطقة بلغاريا حاليا شرق أوربا[12]، وقد قال المؤرخ محمد رمزي في وصف أمّة البلغار وتحركاتهم نقلاً عن كلام المؤرخ رفاعة بك: "ثمّ سكنوا -يعني طائفة منهم- على نهر قوبان، ثمّ على نهر طونة -وهو نهر دوناي الحالي- وهناك تغلبوا في نحو سنة 500م على اسلاوون (السلافيين) الصربيين المستوطنين بأسفل نهر طونة، ثم تغلب عليهم الأوارة، ثم خرجوا من أسرهم سنة 635م فدخلت تحت طاعتهم في ذلك الزمان أمة القوطزغورة، وهي بقية من الهونة استوطنت جهة بحيرة نيوتيدة المسماة الآن بحر أزاق (أزوف)، وبلغارية طونة قطعة من تلك السلطنة العظيمة مكثت مدة طويلة تخشى سطوتها سلطنة بيزنطيا (القسطنطينية)".[13]

وقد أخطأ المؤرخون العرب في ذلك وخلطوا بين القومين، ولكن محمد رمزي في كتابه صحح الخطأ ونقل قول ياقوت الحموي عن كلام المسعودي: "وملك البرغر في وقتنا هذا وهو سنة 332هـ، مسلم أسلم أيام المقتدر بعد العشر والثلاثمائة لرؤيا رآها، وقد كان حج ولد له فورد بغداد، وحمَّل معه المقتدر لواءً وسواداً ومالًا، ولهم جامع،[14] وهذا الملك يغزو بلاد القسطنطينية في نحو خمسين ألف فارس فصاعدًا، ويشن الغارات حولها إلى بلاد رومية والأندلس وأرض برجان والجلالقة وإفرنجة، ومنه إلى القسطنطينية نحو شهرين بين عمائر وغمائر. والبرغر أمة عظيمة شديدة البأس ينقاد إليها من جاورها من الأمم ولا تمتنع القسطنطينية منهم إلا بأسوار..." وقال ياقوت الحموي معلقاً على هذا: "هذه الصفة جميعها صفة بلغار، ولا أظنهما إلا واحداً، وأنهما لغتان فيه للسانين، وليس فيه ما أنكرته إلا قوله: إن البرغر على ساحل بحر مانطس، وما أظن بينه وبين ساحل بحر مانطس إلا مسافة بعيدة، والله أعلم".[15]

هذا وغيرها من الروايات الكثيرة التي ذكرها المؤرخون العرب في أن بلغار قزان هم الذين هاجموا القسطنطينية مراراً. ولم يذكر شيء منها في المراجع الغربية، وهذا خطأ فالمهاجم عليها في كتبهم بلغار طونة بعد استيطانهم هناك في حدود سنة 475م[16]. وقال محمد مراد: إن مصدر هذا القول هو المسعودي فقط والباقون نقلوا كلامه هذا من غير تحقيق والله أعلم.

وإذا تأملنا ما ذكره غير واحد من المؤرخين أن بين بلغار وقسطنطينية مسافة شهرين لأدركنا أن هذا هو وصف بلغار قزان لبعدهم عن القسطنطينة لا بلغار طونة القريبون منها، ومنشأ الغلط هو الاشتراك في الاسم وعدم التأمل في الأوصاف والموضع.[17]

ولكن نبه ابن الأثير إلى الفرق بينهم فقال في الكامل بعد ذكره ما جرى بين بسيل الثاني قيصر الروم وبين البلغار في حدود سنة 200هـ: "وهؤلاء البلغار غير الطائفة المسلمة، فإن هؤلاء أقرب إلى الروم من المسلمين بنحو شهرين وكلاهما يسمى بلغارا".[18]

ولمّا افترق بلغار طونة عن بلغار قزان تحولوا من المجوسية إلى النصرانية وكان ذلك حوالي سنة 184هـ (800- 801م)، وكان اسم ملكهم في ذلك الوقت باغار فتسمى ميخايل. ولما تنصر بلغار طونة تركوا ألسنتهم وعاداتهم الأصلية، وأخذوا ألسنة السلافيين وعاداتهم بسبب اختلاطهم بهم، فهم يعدون إلى الآن من السلاف بحسب العادات واللسان لا بحسب الجنس.[19] وهم الذين يشكلون دولة بلغارية اليوم شرق أوربة.

ونلاحظ أيضا الاختلافات الكثيرة بين التواريخ السابقة سواء الميلادية أو الهجرية وذلك لعدم وجود أدلة ووثائق تاريخية ثابتة تحكي تاريخ هذه المنطقة حتى الآن، حتى أن كبرات خان أو قوارات خان اختلفوا في وجود ثلاث شخصيات بنفس الاسم[20]، فكل الكلام المذكور السابق تقديري.

وفيما يلي صورة لخريطة الإدريسي[21] وهي تبين الفرق بين أمكنة البلغار وبين بلغار الطونة، فأسفل ويمين الصورة قريبًا من القسطنطينة يذكر نهر الطونة وأنها مكان الصقالبة، ثم في وسط الصورة أسفلها بعد نهر ايتل يكتب كلمة بلغار، فهذا يظهر الفرق بين بلغار الطونة وبلغار نهر ايتل.

4.2. أماكن عيش البلغار:

ذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان: "وبين إتل مدينة الخزر وبلغار على طريق المفاوز نحو شهر، ويصعد إليها في نهر إتل نحو شهرين وفي الحدور نحو عشرين يوماً، ومن بلغار إلى أول حد الروم نحو عشر مراحل، ومنها إلى كويابة مدينة الروس عشرون يوما، ومن بلغار إلى باشجرد خمسة وعشرون مرحلة".[22] ونهر إتل هو نهر الفولغا حاليا.

وذكر محمد رمزي في كتابه عن أراضيهم بأنها تمتد الأرض التي بها قوم بلغار ومدينتهم وما جرت فيه أحكامهم من وراء جبال قوقازيا متوغلة في الشمال، وهي غير بلغار طونة -وهي نهر دوناي- الآن، فيمكن تحديد أرضهم بحسب سيطرتهم في غالب الأوقات والأحوال عليها، وشرقاً بجبال أورال ونهره، وهو يسمى أيضاً بنهر جايق، وغرباً بملتقى نهري أوقا وفولغا، الذي فيه الآن مدينة نيجني نوفغورد وما يحاذيها من طرفي الجنوب والشمال، وجنوباً بولايات سراطوف وبينْزا وطامبوف، وطولاً وشمالاً إلى آخر المعمورة، يعني البحر المتجمد الشمالي.[23] ويقصد به منطقة سيبيريا اليوم، وهذا أدق وصف يفهم في عصرنا الحديث.

ووصف الرحالة العرب الذين زاروا منطقة فولغا المتوسّطة أثناء القرن العاشر مثل ابن فضلان وابن حوقل وغيره بأن أرض ولاية بلغار بالمنطقة الجغرافية بين الأنهار: جِرمشان جنوباً، سْفياجا غرباً، وقاما شمالاً، ونهر شيشما شرقاً. وهذا التحديد لأراضي البلغار كان في القرن العاشر للميلاد، أما في القرنين الحادي عشر والثاني عشر فإنها توسعت حتى بلغت حدودها نهر زاي شرقاً وامتدّت إلى مدينة صمارا جنوباً.[24]

وهذان التحديدان متقاربان، وإن اختلفت الأسماء فهو تقريبي لا تحقيقي، لأن تلك المملكة قد اتسعت أحياناً، وضاقت بحسب التقلبات والتطورات، حتى اضمحلت بالكلية أو كادت، وسُميت باسم آخر أحياناً.

3. الحياة في ممالك البلغار

1.3. الحياة الاقتصادية:

ذكر محمد رمزي نقلاً من كلام كرامزين (مؤرّخ روسي) في وصف البلغار بقوله: "كانوا يعيشون على شاطئ نهر الفولغا (اتل) من مدة طويلة، ولعلهم انتقلوا إلى هناك من سواحل نهر دون (تن)، هرباً من طاعة خانات الخزر، الذين ظهروا في القرن السابع الميلادي، وهم -أي البلغار- قد تمدّنوا بمرور الأيام والدهور، وشرعوا في التجارة، وكانوا يتاجرون مع روسية بواسطة الأنهر الكبيرة، وبلاد فارس وسائر الممالك الآسيوية الغنية عن طريق بحر الخزر".[25]

وذكر في مكان آخر: "هؤلاء القوم كانوا يرسلون الميرة إلى مملكة سوزدل- وهي أحد الممالك الروسية قديماً- فلمّا وقع القحط بأرض سوزدل استعانت روسية في ذلك الوقت بالبلغار، الّذين كانت مملكتهم ذات سعة ورخاءٍ، وجاؤوا منها بميرة كثيرة من نهر فولغا، وذلك في حدود سنة 1023م موافق لـ414هـ".[26]

ومثّلت التجارة المصدر الرئيسي لهم، فقد كانوا يحتكرون جميع البضائع التي كانت تمرّ عبر بلادهم، مستغلين في ذلك ميزات أراضيهم التي سكنوا فيها. واشتهر وا بالتجارة حتى بعد إسلامهم.

وكانت بلادهم مزودة بطرق صالحة للتنقل، إضافة إلى ذلك كان موقعها على تقاطع الطرق المؤدية من آسية إلى شمال أوروبا، فكانوا يوصلون صنائع الممالك الإسلامية المتمدنة ومصنوعاتها إلى روسية[27]، وقد وجد قريباً من يرسة وقزان كتابة أرمنية باقية من القرن السادس الهجري، وهذا يدل على أن الأرمن، المشهورين بالتجارة، كانوا يبادلون صناعات الشرق بالجلود البلغارية والروسية والسختيان البلغاري المشهور.

فقد اشتهرت تجارة البلغار بجلود السمور والسنجاب والثعلب والأرنب والقاقم، وذلك لكثرة وجودها في غاباتهم، وكانوا يتاجرون بالشمع والعسل والبندق والبقر والسيوف والدروع والرقيق، وكانت عندهم أسواق خاصة بالعبيد الذين يُؤتى بهم من الأراضي الروسية وغيرها.[28]

ونتيجة للنشاط التجاري ظهرت هناك المعارض والأسواق في كافة أنحاء أراضي البلغار، ويمكن اعتبار سوق "آغا بزار" على ضفتي نهر فولغا من أكثر الأسواق شهرة في هذا المجال، كما كانت هناك محلات تجارية كبيرة أخرى في المدن والقرى على حدّ سواء.[29]

وكانت العملات المعدنية الشرقية تستعمل في الصفقات التجارية حتى القرن العاشر، حيث بدأ البلغار بسكّ عملة خاصة بهم وسميت بالدرهم.[30] وأكثر ما اشتهر من المسكوكات المضروبة كان باسم الأمير طالب سنة 338هـ،[31] وبالإضافة إلى العملات المعدنية، كان الفراء يعتبر وحدة للتبادل، واعتماداً على دراسة أصول الكلمات، يمكن أن نفسر أصل الكلمة التتارية **tien** (سنجاب) بما يقابل المجموعة النقدية التي تسمى كوبك.[32] أي أنهم استعملوا جلد السنجاب كوحدة نقدية في ذلك القرن، وهذه الكلمة ما زالت مستخدمة إلى اليوم في اللغة التترية بمعنى أصغر وحدة نقدية، ويقابلها الكوبيك باللغة الروسية، والقرش في غيرها.

وكانت الحِرف واسعة الانتشار في أرض البلغار، وخصوصًا الحدادة والنّحاسة والنجارة والبناء وصناعة الجلد وغيرها، وكانت صناعة الجلد أكثر شهرة بين جميع هذه المهن، حيث امتدّت سمعتهم إلى ما وراء نهر أورال (وهو نهر جايق كما ذكرنا)، فكانوا يصنعون من الجلد جميع أنواع الأحذية والمعاطف والأحزمة والصناديق. وكان حذاء السختيان المشهور بالبلغار في جميع البلاد يدلّ على رواج صناعتهم وشهرة عملهم في الجلود.[33]

وكذلك كانوا مشهورين بتشييد البناء ليس في بلادهم فقط، فقد اعتمد عليهم في بناء القصور والمساجد والأبنية العامّة في آسية الوسطى وبعض الولايات الروسية كذلك، مثل ولاية فلاديمر-سوزدل.

وأما بالنسبة للزراعة فقد كانوا يزرعون كل أنواع الحبوب من الحنطة والشعير والدخن وغير ذلك، فكانوا يسدّون حاجتهم بذلك ويتاجرون بالباقي[34]، وساهم المناخ في تحديد أنواع المحاصيل التي تزرع في أراضيهم، أكثر من دور التربة أو التقنية الزراعية في ذلك.[35]

وكان الشعير والحنطة والدخن من المحاصيل التقليدية؛ لأن أكثر المسافرين ذكروا وجود هذه المزروعات في منطقة فولغا- قاما. وعلّق ابن فضلان بقوله: "استقبلونا بخبز ولحم والجاورس... أكثر أكلهم الجاورس ولحم الخيل على أن الحنطة والشعير كثير في بلادهم، وكُلّ من زرع شيئاً أخذه لنفسه، ليس للمالك فيه حق، غير أنهم يؤدّون إليه من كل بيت جلد سمور"[36].

وليست تعليقات ابن فضلان غنيّة بالمعلومات المفيدة عن بناء حياة زراعية للبلغار فحسب، بل تسلط الضوء أيضًا على نظامهم الضرائبي، فلم تكن هناك ضرائب مفروضة على الزراعة، ولكن يبدو أن معظم العائدات جاءت من الضرائب التجارية، فكان يؤخذ العشر من سِلَع تجار البلغار والأجانب فتوضع في خزانة بيت المال.[37]

وكانت الثمار موجودة بوفرة في أراضي البلغار أيضًا، فكان المسافرون إلى تلك المناطق يعجبون بالبساتين الموجودة هناك، وذكر الرحالة والجغرافي أبو حامد الغرناطي (565هـ - 1170م) الذي سافر مرّتين إلى أراضي البلغار: "أن عندهم العديد من الثمار المستحيل وجود أكثرها في أي مكان آخر. فهناك البطيخ اللذيذ جداً الذي يمكن أن يتواجد أثناء فصل الشتاء أيضًا".[38]

2.3. الحياة السياسية:

وكما مر سابقًا فإن أصل السكّان في بلاد البلغار ينتمي إلى عدة قبائل اجتمعت في مكان واحد. وبالرغم من وجود اختلافات بين هذه القبائل فقد اتصفت ضفتي فولغا وقاما بوحدة ثقافية مثيرة للإعجاب والاحترام.[39]

خلال فترة نشوء دولة البلغار ظهر تنافس شديد على السلطة بين هذه القبائل، وضعف بعضها نتيجة الصراع، ودخلت تحت حكم الأقوى، ثم انحصر التنافس الحقيقي للحكم بين بلغار وسوار فقط، فظهر مركزين سياسيين هما: بِلار (بلغار) وسوار. وكلّاهما كان يمثّل كياناً سياسياً مستقلاً، له حاكمه وقضاؤه ونقوده الخاصّة به.

واستمر هذا الصراع إلى أن أصبحت بلار (بلغار) هي المركز الّذي تكوّنت حوله دولة البلغار فيما بعد، وبلغت مساحتها في القرن العاشر 530 هكتاراً، بينما كانت كييف في ذلك الوقت تبلغ 150 هكتاراً فقط، وباريس 439 هكتاراً، وبروز هذه القوة في بلار أضعف مدينة سوار ومركزيتها وتسبب بانهيارها وانتهاء القوة السياسية لها فيما بعد[40].

3.3. علاقة ملوك البلغار مع من حولهم:

من أحد أهم أسباب تحرر البلغار من التبعية للخرز قدرة حكّامهم على تأسيس روابط دبلوماسية وعقد الاتفاقيات مع جيرانهم، ومع حكّام الأراضي البعيدة كذلك، ففي سنة 984م، وقّع البلغار معاهدتهم الأولى مع كييف، ثم جُددت تلك المعاهدة في سنة 1006م، وتضمّنت امتيازات تجارية للبلغار والتجار الروس.

وأثناء سنتي 1024 و1025م، أرسل ملك البلغار إبراهيم سفارةً إلى خراسان، وكان غرضه الرئيسي

مساعدة مدن سبزيفر وخسرفدزر في بناء المساجد والصروح المختلفة.[41]

أمّا علاقة ولاية بلغار بالإمارات الروسية المجاورة فكانت بين مد وجذر، وإن طغت عليها عداوات ومعارك مستمرة مدى القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين. وعلى الرغم من ذلك لم تنقطع العلاقات التجارية والاقتصادية بينهم لأنها مهمة لكليهما.[42]

ولم تقف الحروب والاشتباكات بين البلغار والأقوام المجاورة لهم لا قبل الإسلام ولا بعده، إلا أن أكثر حروبهم بعد الإسلام كانت مع روسيا، فقد صادف إسلامهم أول ظهور روسيا وانتشارها من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي.[43]

فبعد أن توفي أمير البلغار جعفر بن عبد الله المذكور في رحلة ابن فضلان جلس مكانه على كرسي السلطنة ولي عهده ابنه الأمير أحمد. ولما توفي قام مقامه ولي عهده ولده الأمير طالب، فلما توفي الأمير طالب جلس بعده على كرسي السلطنة ولده وولي عهده الأمير مؤمن، وفي عهده اتفقت روسيا مع سائر الأقوام المجاورة وهجموا على بلغار سنة 358هـ وخربوا البلاد، وهزم البلغار شر هزيمة، فقد كان كثير من ملوك روسيا يطمعون في الاستيلاء على تلك المملكة واستملاكها.[44]

وتصف كتب التاريخ استيلاء الروس على مدينة آشيل البلغارية، واستيلائهم على قلعة إبراهيم الواقعة على ساحل نهر قاما، ثم رجوعهم بعد ذلك إلى أوطانهم مسرورين وجعلهم هذا اليوم عيداً يُعظّم في كنائسهم إلى يومنا هذا (الكلام لمحمد رمزي). ومن أسباب هجومهم على البلغار اغتنام الأموال من تلك المملكة الغنية والبلد الرخي، المتميز بصنائعه وتجارته في ذلك الوقت، وإن كانوا يبررون هذه الحروب بغزوهم لقوم يخالفون دينهم.[45] ولكننا نرى أن أكثر غزوات الروس بعد اعتناقهم المسيحية كانت ذات دافع ديني تأثروا به من البيزنطيين الذي حضروا الحروب الصليبية على الشرق المسلم.

وصادفت تلك الفترة أيضًا هجوم مغول التتار على العالم بما فيهم الروس وقد انهزموا هزيمة عظيمة، وتبعهم التتار يقتلون وينهبون ويخربون البلاد حتى خلا أكثرها، فاجتمع كثير من أعيان تجار الروس وأغنيائهم، وساروا يقطعون البحر إلى بلاد الإسلام في عدة مراكب هربًا من المغول.

وفي أثناء عودة المغول من بلاد الروس ناهبين لها، قصدوا البلغار أواخر سنة 620هـ، فلمّا سمع البلغار بقربهم منهم، كمنوا لهم في عدة مواضع، واستجرّوهم إلى أن خرجوا عليهم من وراء ظهورهم، فقتل أكثرهم ولم ينج منهم إلا القليل.

واتصلت فيما بعد الطرق بين البلغار وبلاد الإسلام، وصارت الأمتعة ترد منهم على عادتها، بعد أن انقطعت منذ أن دخلها التتار. وصالح البلغار بعد ذلك ملك الروس غيورغي، وتبادلوا الأسرى من الطرفين، بعد حروب دامت ست سنوات.[46]

وفي 1223م هزم أحد ملوك البلغار (عبد الله تشلبير) جنكيز خان قرب صمارصكيا لوكا، وكانت تلك هي الهزيمة الأولى والأخيرة للمغول.[47] فالمؤسف أن دولة البلغار لم تستطع أن توقف تقدم الجيوش

المنغولية الهائلة.

وهكذا في سنة 1226م استولى باتو خان على مدينة البلغار مع 600 ألف جندي، واندمج البلغاريون الذين سُيطر عليهم في جيوش باتو خان وسمُّوا تتارًا. في سنة 1237م المصادفة لسنة 653هـ بعد غزو التتار لروسيا واستيلائهم عليها، أيقن أمير البلغار إلهام خان عجزه عن مقاومة التتار، فخرج واستقبلهم في أعالي نهر أوقا، وصالحهم على أن تُضرب السكة باسمهم، ويعينهم بجنوده وقت الحاجة. فصارت مملكة البلغار جزءاً من مملكة تتار جنكيز خان، ولكن بقي لهم الاستقلال في إدارة أمورهم الداخلية، ونصب الأمراء من أنفسهم كما كان في السابق.[48]

ولما ضعفت قوة جارتهم روسيا بعد حرب التتار لها وانقسامها، استراح البلغار مدة طويلة من تعب الحرب، ولكن أورث ذلك للبلغار فتوراً ورخاءً وللروس قوة ونشاطاً، فجدد الروس هجومهم على البلغار حين وقع الخلاف بين أمرائهم أول مرة بعد موت بردى بك خان، ولم يحدث خلاف بين التتار والبلغار منذ دخلوا في طاعتهم إلى أن انقرضت الدولتين.

ومن آخر الوقائع المشهورة التي لم تذكر في كتب التاريخ هجوم الروس بقيادة فيودر بن داويد إلى بلغار الفولغا وقاما، وكانت الاختلاف بين أُلوغ محمد خان أمير البلغار وبين أقاربه في سراي سببًا في جسارة الروس على مهاجمتهم.[49] ثم هُزم البلغار بعد ذلك أيضًا في حربهم مع إيفان الرهيب وضُموا إلى روسيا إلى يومنا.[50]

فهذه نبذة عن علاقات البلغار مع من حولهم من الأمم والأقوام والتي كانت بين صلح وحرب وخصوصًا مع الروس.

4.3. ما تبقى من مدن البلغار:

أشهر المدن في مملكة البلغار هي: بلار وبلغار وإسغل وكاشان وسوار، ولقد اكتشف علماء الآثار منذ القديم إلى الآن ما يقارب 2000 قرية و150 مدينة، ولعلّ أكبرها وأكثرها إثارة للإعجاب هي مدينة بلار، التي تقع على نهر جرمشان، وهي خربة منذ خمسة قرون، وقد كشف علماء الآثار خلال حفرياتهم فيها عن أكثر من ألف بيت خشبي، وعشرات المنازل والمباني الحجرية، منها القصور والمباني المعدة للمبيت مثل الفنادق[51]، ثم تأتي في المرتبة الثانية مدينة بلغار التي تقع على ضفتي نهر فولغا، وهي مدينة عظيمة مبنية من خشب الصنوبر، وسورها من خشب البلّوط، وكانت مشهورة بمينائها، وموضعها معلوم ومشهور في جمهورية تتارستان اليوم، وبعض آثارها باقية إلى الآن.[52]

أمّا سوار فهي أيضاً تقع على ساحل ذلك النهر، وبيوتها من اللبد وبها عشرة آلاف بيت، وهي مدينة مشهورة بالزراعة، وكان الخير بها واسعاً، ولكن ليس لها الآن وجود ولا بقية من أثر. ورجّح محمد رمزي أنّ مدينة سوار هي مدينة صمارا الحالية في روسيا، وذلك لأنّ لفظ سوار قريب من لفظ صمارا، وأنّ هذا الاسم تغيّر مع الزمن.[53]

أمّا مدينتي إسغل وكاشان، فقد كان لهما أثر بارز في المملكة البلغارية.[54] وقال رمزي عن مدينة اسغل: إنّ قوم اِيجكين الموجودين الآن في أطراف مدينة جيلابي -مدينة تشيلابينسك الروسية- من بقايا أهالي إسغل أو إسكل، وأنّ الجوفاش المسمَّون بإسكل هم من البلغار.[55]

4. البلغار والإسلام:

1.4. تاريخ اعتناق البلغار الإسلام:

بحسب العديد من المراجع الروسية والبيزنطية فإن البلغار قديمًا كانوا يدينون بالأديان الوثنية المنتشرة بين القوميات التركية في ذلك الوقت كالشامانية وغيرها، وقد دخل جزء منهم المسيحية عندما هربوا من خانات الأتراك باتجاه الدولة البيزنطية، وقد مر معنا أن كوبرات خان تنصَّر وعُمد في القسطنطينية، ولكن لا نعلم هل كان هذا التنصر سياسيًا أم حقيقيًا؟ فكل الدراسات في هذا النقطة غير واضحة.

وأما قصة إسلام البلغار فلم تذكر إلا قليلاً، وأجمعت المراجع على قصةٍ واحدةٍ نقلتها عن ابن فضلان، الكاتب الذي كان في البعثة التي أرسلها الخليفة المقتدر بالله العباسي، بناءً على طلب ملك البلغار، ولكن لم يُفهم تمامًا هل كان البلغار مسلمين من قبل، وطلبوا مساعدة الخليفة للدعوة لنشر الإسلام ونشر العلم، وكذلك الدعم ضد ممالك الخزر؟ أم أنهم أسلموا في هذه الرحلة؟ فهناك بعض النصوص توحي بأنهم كانوا مسلمين، وأنهم أرادوا العلم والتعلم وبناء المساجد، فمثلًا حكاية ابن فضلان في رحلته عن وجود مؤذن يقيم الصلاة على المذهب الحنفي، وتعديل ابن فضلان له ليقيم على المذهب الخليفة العباسي مرة واحدة[56]، يدل على أن البلغار كانوا مسلمين قبل وصول ابن فضلان إليهم.

وهناك احتمال آخر أن يكونوا قد أسلموا حديثًا، وطلبوا من يعلمهم شريعة الإسلام، فهناك نصوص في رحلة ابن فضلان توحي بأنهم حديثو عهد بالإسلام، وقد قام ابن فضلان بتعليمهم، مثل شرحه المواريث لملك البلغار[57]، فإن كانوا قد أسلموا من قبل فكيف؟ ومتى؟ فهذا ما لم يُعرف. وعلى الأغلب أنه كان أمراً تدريجيًا على يد التجار المسلمين، الذين وصلوا إلى تلك البلاد.

فيقول ابن فضلان: "أن ملك البلغار ألموش (أو ألماس) خان ابن سلكي (أو شلكي) بلطوار أرسل رسولاً اسمه عبد الله بن باشتو الخزري إلى الخليفة في بغداد، في عام 309هـ الموافق 921م، ليبايع الخليفة المقتدر بالله العباسي، ويلتمس منه الفقهاء والعلماء والمهندسين والمعماريين والصناعيين، ليوقفوا البلغار على شعائر الإسلام، ويعلّموهم أحكام الشريعة، ويستأذنه في بناء سورٍ في أطراف بلده، ليتحصّن به من الملوك المخالفين له في الدين كالخزر وغيرهم. فأجابه المقتدر بالله على طلبه وسؤله، وتفضّل عليه بإسعافه فيما رامه وأمّله، وأرسل إليه رسوله، وأصحبه الفقهاء والعلماء والمهندسين وسائر أهل الصناعة المتبحّرين. وكان الرسول المعين له سوسن الرسي والبدر الخرمي وضمّ إليهم أحمد بن العبّاس بن راشد ابن حمّاد بن فضلان البغدادي الكاتب، وأمره أن يكتب جميع ما يشاهده ويعاينه في الطريق وفي بلاد البلغار وما يجاورها من سائر البلاد من العجائب والغرائب وأجناس الأمم وعوائد القبائل وألسنتهم ودياناتهم وتعبداتهم وكيفية أراضيهم ومساكنهم ومنازلهم وكيفية معايشهم ومقدار أطوال الليالي والأيّام وقصرها وغير ذلك من وقت خروجه من بغداد إلى أن يدخلها راجعاً".[58]

ففعل ما أُمر به وألّف في ذلك رسالة، ولقد ورد فيها وصف رحلته إلى بلاد الصقالبة، ويبدأ بقوله: "رحلنا من مدينة السلام لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر سنة تسع وثلاثمائة"[59] ثمّ يذكر ما مرّ له في الطريق إلى خوارزم ثمّ منها إلى بلاد الصقالبة، ويحكي قصة استقبال الملك واخوته لهم أفضل استقبال.

ثم قراءة كتاب الخليفة عليهم، وذكر ما يدل على إسلامه قبل وصولهم فقال: "وقد كان يُخطب له قبل قدومنا: اللهم أصلح الملك بلطوار، ملك بلغار. فقلت له: إن الله هو الملك، ولا يجوز أن يُخطب بهذا لأحد سيما على المنابر، وهذا مولاك أمير المؤمنين قد وصى لنفسه أن يقال على منابره في الشرق والغرب: اللهم أصلح عبدك وخليفتك جعفر الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين. فقال: كيف يجوز أن يقال؟ فقلت: يذكر اسمك واسم أبيك، فقال: إن أبي كان كافرًا، وأنا أيضًا ما أحب أن يذكر اسمي إذا كان الذي سماني به كافرًا، ولكن ما اسم مولاي أمير المؤمنين؟ فقلت: جعفر. قال: فيجوز أن أتسمّى باسمه؟ قلت: نعم. فقال: قد جعلت اسمي جعفرًا واسم أبي عبد الله، وتقدم إلى الخطيب بذلك فكان يُخطب: اللهم أصلح عبدك جعفر بن عبد الله أمير بلغار مولى أمير المؤمنين."[60]

فلربما كانوا قد أسلموا قبل وصول وفد الخليفة إليهم، وجاء الوفد ومعه المعلمون والفقهاء ليعلموهم دينهم كما طلب ملكهم.

وقد وجدت في كتاب المسالك والممالك لعبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، أنه ذكر سبب إسلامهم وهي رؤية رآها الملك فقال: "وتتّصل بهذه المملكة مملكة البرغر، وملكها الآن مسلم أسلم بعد العشر وثلاثمائة برؤيا رآها، وذلك أيّام المقتدر. وكان هذا الملك يغزو بلاد القسطنطينية في نحو من خمسين ألف فارس ويشنّ الغارات إلى بلاد رومة والجلالقة والإفرنجة ومنه إلى القسطنطينية نحو من شهرين"[61].

على كل حال أصبح الإسلام سنة 922م ديناً رسمياً للبلغار،[62] وإن كان فيما قبل ديانة لبعض الناس الذين كانوا يعيشون على شواطئ فولغا وقاما، وقابلت سفارة الخليفة المقتدر 5000 رجلا وامرأة معتنقين للإسلام معروفين باسم برنزار.[63]

ولقد صاحب اعتناقهم الإسلام اعتمادهم الكتابة بالحروف العربية، التي لم تكن وسيلة للانتشار الواسع للدين الجديد فحسب، بل أصبحت مفتاحاً للتعلّم بشكل عام، وفتحت الباب لتعلّم التراث والحضارة الإسلامية القادمة من الشرق.

وكان لوجود اللغة العربية الفصحى أثر عظيم على التعليم وتطوره، وأصبحت لدى البلغار المسلمين مدارس تهتمّ بتعليم المواد الدينية كاهتمامها بتعليم المواد العلمية، ممّا جعلها تدرّب علماء وحكّاما للمستقبل. وكانت هذه المدارس متاحة لأغلبية السكّان.[64]

2.4. أشهر علماء البلغار:

إنّ من تأمّل في أحوال أهل البلغار وتقدّمهم في المدنيّة بشهادة أعدائهم، لا يرتاب في وجود كثير من العلماء فيهم في جميع القرون. ولكن للأسف فإن أهالي تلك الديار مع وجود كبار العلماء فيهم، لم يكن لهم كثير رغبة في التأليف والتصنيف وإبقاء الآثار حتى يخلُد ذكرهم، كما خلُد ذكر غيرهم من علماء الأمصار

وفضلائها، ولأن منطقتهم كانت بعيدة ومنقطعة عن بلاد الإسلام، ولم تكن مطروقة للعلماء المعتنين بالتأليف والمهتمين بجمع الأخبار، فلم يكن لهم اختلاط بهم ولا اطلاع على أحوالهم، لذلك لم يدرج ذكرهم في تواريخهم وتراجمهم، فبقي أعلامهم وأخبارهم قليلو الذكر في كتب التاريخ والتراجم الإسلامية.

ولكن لم تخل الكتب من ذكر بعضهم فقد ذكر الأمير حسن صديق القنوجي شيئًا عن ذلك في كتابه "لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان" فقال يحكي عن مسألة تقدير أوقات الصلاة في الأيام التي يكون ليلها قصير جدا كما في بلاد البلغار:

"أم كيف يهمل المتقدمون من أهل بلغار هذه المسألة؟ مع فرط حاجتهم إليها وكثرة ابتلائهم بها، ولم يستفتوا فيها والإسلام غضّ المجنى جلو المغنى، يحفظون حدوده ويلتزمون عهوده، وقد كان فيهم من علمائهم جماعة قبل عصر البقّالي والحلواني وبعده مثل: عبد الحيّ ووالده عبد السَّلام والقاضي أبو العلاء حامد بن إدريس، والقاضي يعقوب ابن نعمان مؤرخ بلغار وغيرهم".[65]

ومن أهم من ترجم لهم صاحب تلفيق الأثار الذي ذكر عددًا من علمائهم، وكذلك غيره من أصحاب التواريخ، فمن أشهر العلماء:

-الإمام الخواجة أحمد البرغري، وربما يُقال الشيخ أحمد البرغري وهو أستاذ السلطان محمود بن سبكتيكن الغزنوي، وقد ذكره عبد العزيز بن أحمد البخاري في كتابه "الكشف الكبير شرح أصول البزدوي"، ونقل كثيرا من فوائده مما يدل على جلالة شأن البرغري وعظم قدره، وهذا كلام المؤرخ محمد رمزي. وقد نقل عنه في أكثر من أربعين موضع، وذكر آراءه في الفقه ونقل عن كتاب له اسمه الطريقة البرغرية.[66]

- يعقوب بن النعمان: قاضي بلغار، له كتاب "تاريخ في أحوال البلغار" ولكنه مفقود الآن، وقد لقيه الرحالة والجغرافي أبو عبد الله الغرناطي في بلغار سنة 530هـ ونقل عنه بعض الأخبار، كما نقل أبو حامد الأندلسي عن تاريخه، وعدّه من أصحاب إمام الحرمين. واختلف في تاريخ وفاته فقيل سنة 450هـ وقيل سنة 559هـ، والأرجح أنه كان سنة 559هـ وإلا كيف التقى به الغرناطي في السنة 530هـ والله أعلم بالصواب.[67] وقد ذكره القنوجي في كتابه "لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان" مثنيًا عليه وعلى علماء البلغار.[68]

- القاضي أبو العلاء حامد بن إدريس البلغاري: ذكره المؤرخ المرجاني[69] أيضًا وقال: إنه كان موجوداً في حدود سنة 500هـ، وذكره تلميذه سليمان بن داود السقسيني.[70]

- الشيخ سليمان بن داود السقسيني: له كتاب في الموعظة سماه "زهرة الرياض ونزهة القلوب المراض". ذكره حاجي خليفة وأسماه: سليمان بن داود السوراي، وقال عن كتابه: به فوائد كثيرة ورتّبه على سبع وستين مجلسًا، وهو من الكتب المشهورة في الموعظة، ولكنه ليس بمعتبر،[71] ولم يُذكر له تاريخ فعلى قول المرجاني يكون من علماء القرن السادس، كما نقل المرجاني عنه عدة أحاديث مما دل على أن علم الحديث كانت منتشرًا في ديار البلغار، وكان له رواج فيها، ولأهلها اعتناء به في تلك القرون السالفة.[72]

- الشيخ برهان الدين إبراهيم بن خضر البلغاري: كان حياً في سنة 751هـ، وله كتاب اسمه "أصول

الحسامى" كما ذكر المرجاني.[73]

– الشيخ أبو محمد صدر الدين بن علاء الدين البلغاري: وقد وجد في آخر نسخة من كتاب أصول البزدوي إجازة مكتوبة للشيخ إبراهيم بن إبراهيم الخواجة من شيخه صدر الدين، ومؤرخة سنة 766هـ.

– الشيخ برهان الدين إبراهيم بن يوسف البلغاري: وله كتابان "شرح آداب الصحائف" و"شرح فصول النسفي في علم الجدل المسمّى معارك الفحول في شرح الفصول"، كما ذكر حاجي خليفة، ولقد اشتهر هذا العالم بكتبه البلاغية الفريدة من نوعها، كما اشتهر في الطب وله حواشٍ على كتب كثيرة.[74]

– الشيخ محمد البلغاري: له كتاب يسمى "خزينة العلماء وزينة الفقهاء"، وهو مختصر في الموعظة، أورد فيه صاحبه من الأحاديث والآثار والحكم[75]، كما ذكر حاجي خليفة في حرف الميم "مفردات البلغاري"[76]، ولم يذكر غير ذلك، ولا يعلم في أي عصر كان محمد البلغاري، هل كان من المتقدمين حين وجود سلطنة البلغار؟ أو من المتأخرين أي بعد انقراض السلطنة؟.

– الخواجة حسن صلاح الدين بن عمر البلغاري: كان شيخاً كبيراً في وقته، لقي كثيرًا من الشيوخ، واختص من بينهم بالشيخ سعد الدين الحموي، توفي بتبريز وعمره 93 سنة.

– قُول غالي: لسوء الحظ، أبقى التاريخ اسم شاعر بلغاري واحد فقط من هذه الفترة وهو قول غالي. وكانت قصيدته المعروفة باسم "قصة يوسف" تثير اهتمام المؤرخين وعلماء اللغة والأدب على حدّ سواء، فهي أبرز مثل عن التراث الروحي للمجتمع البلغاري في القرن الثالث عشر. قُتل قول غالي أثناء هجوم التتار على تلك البلاد سنة 1236م.[77]

وغيرهم من العلماء كثير، إلا أنني اكتفيت بهذا السرد الموجز عن أهم هؤلاء العلماء وأجلهم وأعظمهم تأثيرا في تاريخ البلغار.

4. خاتمة

إذا تأملنا أحوال البلغار وأخبارهم، علمنا أنهم كانوا أمة عظيمة لها تاريخ عريق قبل الإسلام، وازداد تطورًا وظهورًا بعده، وبرز منهم علماء وفقهاء وأدباء كانت لهم يدًا طولى في الأمم التركية المسلمة، حتى نهاية الدولة العثمانية تقريبًا، ثم جاء الاتحاد السوفييتي بعد احتلال روسيا لبلادهم بسنوات، ودمَّر ما تبقى من حضارتهم وتاريخهم وأدبهم وكتبهم التي لم يصل منها إلينا إلا القليل.

ولكن حفظت كتب التاريخ والتراجم والرحلات بعضًا من أخبارهم، وبعضًا من اجتهادهم في خدمة الإسلام وحضارته، فقد كانوا حاجزًا مهمًا بين الشرق المسلم، ويهود الخزر ونصارى الروس السلافيين، مانعين لهم من الوصول إلى الشرق العربي المسلم، وحتى في زمن جنكيز خان استطاعوا الحفاظ على وجودهم، وقاتلوه محاولين منعه من تدمير حضارتهم ومن الوصول إلى العالم الإسلامي، وإن كانوا قد نجحوا في معركة من المعارك إلا أنهم لم يملكوا القوة الكافية لإيقافه، ثم كان لهم دور في حماية الدولة العثمانية وأراضي المسلمين من القيصرية الروسية التي حاولت لسنوات طويلة الوصول إلى أراضي القفقاز ثم الأناضول ثم الشرق العربي المسلم.

ولكن بقاء الحال من المحال فضعفوا وسقطوا تحت الاحتلال الروسي، وتهدم السد الذي يحمي مسلمي القفقاز من الروس، وسقطت كل الحضارات والدول الإسلامية في منطقة القفقاز وشمالها تحت القيصرية الروسية ثم الاتحاد السوفيتي، الذي لم يُبقِ كثيرًا من آثار من مضوا.

وبقي إلى زماننا هذا في بعض البلاد التي تتبع الاتحاد الفيدرالي الروسي من يعتبرون أحفاد البلغار مثل: قبردينيا بلغار والجواش وتتارستان وأوفا وغيرها، وإن المتنقل في مناطق حضارتهم البائدة يرى أثرها في أسماء المدن والأنهار والجبال الموجودة حتى يومنا في روسيا، مثل: مدينة بلغار وصمارا وسارتوف التي تعني الجبل الأصفر سراي تاو، وغيرها كثير من أسماء القرى والمدن والأنهار.

فينبغي على الباحثين المسلمين في تاريخ الحضارات والشعوب أن يشتغلوا في تحقيق ودراسة تلك المنطقة، ومحاولة إخراج ما فيها من كنوز حضارية ضاعت بين طيات التاريخ.

5. قائمة المراجع:

5. 1. أولاً: المصادر والمراجع العربية:

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني(1415هـ- 1995م)، الكامل في التاريخ، بيروت- لبنان، دار صادر، ط6.
- الأندلسي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي(1992م)، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله(د.ت)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.
- صديق خان القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري(1405هـ- 1985م)، لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان، دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان، ط1.
- علاء الدين البخاري، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي(د.ت)، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، دار الكتاب الإسلامي.
- ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد(1379هـ- 19595م)، رسالة ابن فضلان، ت: سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق.
- محمد مراد الرمزي(د.ت)، تلقيح الأخبار وتلفيق الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، روسيا- مدينة أورينبورغ، مطبعة الكريمية والحسينية بمدينة أوريبورغ.
- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس تقي الدين المقريزي(1418هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله(د.ت)، معجم البلدان، بيروت- لبنان، دار صادر، د.ط.

5. 2. ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Anas Khalid, "Abu Khamid el-Garnatining Bolgarga sayakhate. Sayakhatche ham aning asarlare", KU 6(1976).

- A.Kh.Khalikov, "Proiskhojdenie Tatar Povolj`ya i Priural`ya", Kazan, 1978.
- B.D. Grekov, "Voljskie Bulgary v 9-10 vekakh, in Istoricheskie zapiski", vol.14 (Moscow, 1945).
- Dilian GUROV, The origins of the Bulgarians, searching paper from www.The origins of the Bulgarians [Archive] - Stormfront White Nationalist Community.htm
- Gamir Dauletshin, "Bolgar yazma kul`turasy", KU 3(1980).
- NAZİF KUYUCUKLU. BULGARİSTAN. DİA, VI
- P.Savel`ev, "O torgovle Voljskikh Bulgar" in ZMNP (St.Petersburg, 1846).
- S.M.Solov`ev, Istoria Rossii s drevneishikh vremen, (Moscow, 1959-1965).
- V. Sirotenko, Pis'mennye svidel'stva o bulgarah IV-VII vv., Izdatelstvo "Nauka", Moskva 1972.

5. 3. **ثالثاً: مواقع في الشبكة العالمية (الإنترنت):**

1. www.BulgariaVoljskaya.htm
2. "http://en.wikipedia.org/wiki/Bulgars
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D9%84_%D8%BA%D8%A7%D9%84%D9%8A
- https://ru.wikipedia.org/wiki/%D0%9A%D1%83%D0%B1%D1%80%D0%B0%D1%82
https://ru.wikipedia.org/wiki/%D0%92%D0%B5%D0%BB%D0%B8%D0%BA%D0%B0%D1%8F_%D0%91%D0%BE%D0%BB%D0%B3%D0%B0%D1%80%D0%B8%D1%8F
3. /http://www.kavkazcenter.com/russ/content
4. www.kcn.ru/tat_ru/kazan/capital.html-10k "History of Kazan
5. http://liverum.com/content/BULGARIJA
6. - https://blazingbulgaria.wordpress.com/2012/06/26/origins_of_bulgaria/
7. http://liverum.com/content/BULGARIJA
8. **Большая российская энциклопедия**, https://bigenc.ru/archeology/text/2118455
9. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%84%D9%81:Ibn_Wardi_mappa_mundi.jpeg

6. الهوامش والإحالات:

1- تلقيح الأخبار وتلفيق الآثار ، 26/1

2- معجم البلدان، 1/ 485.

3 – بحر آزوف الذي يقع في روسيا في يومنا.

4- معجم البلدان، 385/1.

5 – رسالة أحمد بن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة، 78.

6- تلقيح الأخبار، 1/ 27.

7 –S.M.Solov`ev, Istoria Rossii s drevneishikh vremen, vol. 5-6 (Moscow, 1959-1965), p.476.
"History of Kazan" www.kcn.ru/tat_ru/kazan/capital.html - 10k See also

8- ينظر موسوعة ويكيبيديا مادة بلغار باللغة الروسية والانكليزية والموسوعة الروسية
"http://en.wikipedia.org/wiki/Bulgars" ،https://bigenc.ru/archeology/text/2118455 ،
https://ru.wikipedia.org/wiki/%D0%9A%D1%83%D0%B1%D1%80%D0%B0%D1%82 ،
https://ru.wikipedia.org/wiki/%D0%92%D0%B5%D0%BB%D0%B8%D0%BA%D0%B0%D1%8F_%D0%91%D0%BE%D0%BB%D0%B3%D0%B0%D1%80%D0%B8%D1%8F
https://blazingbulgaria.wordpress.com/2012/06/26/origins_of_bulgaria /

9 –www.bulgariya voljskaya .htmوانظر أيضا History of Kazan.htm .www .67، ورسالة ابن فضلان،

10 – الكامل في التاريخ، 8/ 30.

11 –A.Kh. Khalikov, Proiskhojdenie Tatar, pp.56-57 and 63.

12 – NAZİF KUYUCUKLU. BULGARİSTAN. DİA, VI,394 .394 \6، الموسوعة الإسلامية التركية مادة "بلغارستان"،

13– انظر تلفيق الأخبار، 1/280–282.

وأيضاً V. Sirotenko, Pis'mennye svidel'stva o bulgarah IV-VII vv., Izdatelstvo "Nauka", Moskva 1972, pp. 205-218.

14 – كأنه يقصد "وبنى لهم جامعا" فقد ورد في رحلة ابن فضلان أنهم طلبوا المساعدة في بناء جامع لهم، وسيمر معنا في المقالة.

15– معجم البلدان، 1/385.

16 – ونلاحظ هنا اختلافا في التاريخين الذين ذكرهم المؤرخون منذ تفرقهم بعد موت كبرات خان سنة 365م ونزولهم حوض نهر الدون واسيتطانهم فيها.

17 – تلفيق الأخبار، 1/282

18– الكامل في التاريخ، 9/498.

19– تلفيق الأخبار، 1/ 284.

20 – Большая российская энциклопедия, https://bigenc.ru/archeology/text/2118455 الموسوعة الروسية الكبرى.

21 – https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%84%D9%81:Ibn_Wardi_mappa_mundi.jpeg موقع خريطة الإدريسي

22 – معجم البلدان، 1/485–486.

23 – تلفيق الأخبار، 1/261–262.

24 – A.Kh.Khalikov, Proiskhojdenie Tatar Povolj`ya i Priural`ya, Kazan, 1978, see p.52.، ورسالة ابن فضلان، 136.

25– تلفيق الأخبار، 1/286. وأيضاً bulgariya voljskaya.htm و History of Kazan.htm، و http://liverum.com/content/BULGARIJA

26– تلفيق الأخبار 1/ 285 و300.

27 –P.Savel`ev, "O torgovle Voljskikh Bulgar" in ZMNP (St.Petersburg, 1846), p.32.

28– تلفيق الأخبار، 1/273 و285 . وابن فضلان، 153.

-29 Khalikov, Proiskhojdenie Tatar, p.69.
http://liverum.com/content/BULGARIJA-2

31– تلفيق الأخبار، 1/299.

32. –Khalikov, Proiskhojdenie Tatar, p.69

33 – See History of Kazan.htm, –http://liverum.com/content/BULGARIJA، وتلفيق الأخبار، 1/285.

34– تلفيق الأخبار، 1/268.

35 –http://liverum.com/content/BULGARIJA

36– رسالة ابن فضلان، 129.

37 تلفيق الأخبار، 1/268

38 – وبرأي ليس في هذا القول تناقض مع قول ياقوت الحموي السابق ذكره: "والفواكه في بلادهم لا تنجب". مع أن كلاهما عاشا في القرن الثاني عشر، فكما عرفنا بلاد البلغار امتدت على مساحات واسعة، وينطبق كلام الحموي على الشمال البارد، كما ينطبق كلام الغرناطي وغيره على الجنوب الدافئ الخصيب. See Anas Khalid, Abu Khamid el-Garnatining Bolgarga sayakhate.Sayakhatche ham aning asarlare, KU 6(1976) p.153.

39 –A.Kh. Khalikov, Proiskhojdenie Tatar, pp.56-57 and 63.

40–B.D. Grekov, Voljskie Bulgary v 9-10 vekakh, in Istoricheskie zapiski, vol.14 (Moscow, 1945), pp.3-37.

41 –pp.66-67. tatar Povolzh`ia i Priural`ya, A.Kh.Khalikov, Proiskhojdenie

42– المصدر السابق. وانظر تلفيق الأخبار، 1/299.

43- المصدر السابق من الموقع الالكتروني.
44- تلفيق الأخبار، 299/1.
45- المصدر السابق، 1/ 299-301.
46- الكامل في التاريخ، 12/387-389.
47- www.The origins of the Bulgarians [Archive] - Stormfront White Nationalist Community.htm ورقة بحثية موجودة في الانترنت لكاتبها Dilian GUROV
48- http://liverum.com/content/BULGARIJA
49- تلفيق الأخبار، 310/1.
50- المصدر السابق.
51 -A.Kh. Khalikov, Proiskhojdenie Tatar, p.17.
52- تلفيق الأخبار، 269/1 و274.
53- المصدر السابق 272/1 و274.
54- A.Kh. Khalikov, Proiskhojdenie Tatar, p.17.
55- تلفيق الأخبار، 274/1-275.
56 - رسالة ابن فضلان، 120.
57 - المصدر السابق، 132.
58- وهذا النص من معجم البلدان، 486/1. ويشبهه مع بعض الاختلاف من رسالة ابن فضلان،67. وتلفيق الأخبار، 287/1-290.
59 - رسالة ابن فضلان، 73.
60- المصدر السابق، 118.
61 - المسالك والممالك للأندلسي 263/1، وقد بينت خطأ هذه الفكرة لأن البلغار الذين كانوا يغزون القسطنطينية هم بلغار الطونة.
62 -http://liverum.com/content/BULGARIJA
63- ربما كان هؤلاء الذين ذكرهم ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" حيث ذكرأنه أسلم في زمن الخليفة القائم بأمر الله في سنة 435هـ عشرة آلاف خركاة من كفار الترك الذين كانوا يغيرون على بلاد الإسلام. الكامل 45/8.
64 -See Gamir Dauletshin, Bolgar yazma kul`turasy, KU 3(1980), pp.186-180.
65 - لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان، صديق خان القنوجي، 211.
66 - كشف الآثار شرح أصول البزدوي، للبخاري، 79/2 .
67- تلفيق الأخبار، 1/ 317. والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تقي الدين المقريزي، 300/1.
68 - لقطة العجلان،211.
69 - صاحب كتاب مستفاد الأخبار في أحوال قازان وتاريخ البلغار، وهو شهاب الدين المرجاني القزاني المتوفى حوالي 1889م، طبع كتابه في تتارستان بخط قديم، باللغة العثمانية.
70- تلفيق الأخبار، 324/1.
71- كشف الظنون، 962/2.
72 - تلفيق الأخبار، 324/1.
73 - المصدر السابق، 326/1.
74 - كشف الظنون، 1272/2.
75- المصدر السابق، 704/1 .
76- المصدر السابق، 1772/2
77/ -http://www.kavkazcenter.com/russ/content - http://liverum.com/content/BULGARIJA
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D9%84_%D8%BA%D8%A7%D9%84%D9%8A